عبدالحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩)، والتي اسهمت في منح الاجانب حقوقاً لم تكن موجودة سابقاً، وتتمثّل في اعطائهم الحق بحيازة وامتلاك أراض داخل الدولة العثمانية. لقد ساعد ذلك في اضفاء «الشرعية» على قيام المستوطنات الصهيونية في فلسطين[١]، ورافقه احساس العرب (في فلسطين بشكل خاص) بالخطر الذي يتهددهم. وبما ان سكان المناطق التي استولى عليها اليهود لا تشكّل وحدة ادارية مستقلة، فبعضها كان يتبع، ادارياً، لبيروت والآخر للشام ومتصرّفية القدس للاستانه، فقد كان الاحساس بالخطر عاماً وشاملاً بعد فترة وجيزة من التوسّع في أعمال الاستيطان الصهيوني.

أمّا النضوج السياسي الفلسطيني، فقد بقي نشطاً تنظيمياً في اطار الحركة الوطنية لبلاد الشام، كما وازدهر وتميّز كمّاً ونوعاً، حتى نهاية الحرب العالمية الاولى، عن نشاط عرب أقطار بلاد الشام الاخرى[٢]. ويعود السبب في ذلك الى ازدياد الخطر الصهيوني متمثّلاً بالهجرة الصهيونية الى فلسطين واقامة الصهيونيين مستوطنات فيها على حساب العرب.

وقد تجسّد هذا النضوج السياسي ميدانياً، طوال هذه المرحلة «الجنينية»، من خلال مجمل النشاطات التي قامت ضد المهاجرين والمستوطنين اليهود. وقد تفاوتت نشاطات هذه المرحلة «الجنينية» بين انتهاج أساليب العنف والدبلوماسية المقرونة بالتوعية الاعلامية، وأبرزها:

- الهجوم على المستوطنات اليهودية، مثل الخضيرة وبيتح تكفا (ملبّس) بين العامين ١٨٨٦ و١٨٩٣؛ كما امتدت المقاومة الى خارج فلسطين، حيث هاجم عرب شرق الاردن اليهود من جرش مثلاً، «وهدموا بيوتهم وقلعوا أشجارهم»[٣].
- ارسال برقيات ومذكرات وعرائض الشكوى والاحتجاج الى السلطات العثمانية، لوضع قيود على هجرة اليهود، ولمنعهم من امتلاك الارض في فلسطين[٤].
- التوعية الاعلامية التي تولّتها الصحف العربية في كل مكان من بلاد الشام ومصر، مثل «الكرمل» و«فلسطين» و«المقتبس»، وغيرها[٥].
- التوعية الاعلامية من خلال نشر المؤلفات والكتب، مثل كتاب نجيب عازوري[٦]، ونجيب نصار[٧]، وأوضحت فيها مبادىء وأسلوب عمل وأهداف الحركة الصهيونية، ووجوب التصدي لها.
- الجهود والمساعي التي بذلها الاعضاء العرب في «مجلس المبعوثان» العثماني، مطالبين السلطات العثمانية باتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية فلسطين من الخطر الصهيوني.
- تشكيل احزاب وجمعيات وطنية لمقاومة الصهيونية، مثل الحزب الوطني العثماني، في العام ١٩١١، وجمعية مكافحة الصهيونية في نابلس، في العام ١٩١٣.

المرحلة الثانية

وتبدأ بانتهاء الحرب العالمية الاولى. وقد تميّزت بتصدّر النضال ضد المشروع الصهيوني قائمة أولويات المهمات اليومية للحركة الوطنية الفلسطينية. وقد استثار التحدي الصهيوني، المتمثّل في مشروعه الاستيطاني، حالة فلسطينية شكّلت عموداً فقرياً للتعبئة الجماهيرية وقاعدة للتميّز النضالي قادا الى بناء حركة وطنية فلسطينية خالصة. ففي المرحلة «الجنينية»، نرى ان أولويات النضال ضد المشروع الصهيوني شكّلت احدى المهمات للحركة الوطنية العربية في بلاد الشام، وبالتالي ناضل الوطنيون الفلسطينيون من أجل انجاز استقلال ووحدة بلاد الشام، واعتبر الخطر الصهيوني